

مع المازني

١٣٠٨ - ١٢٦٨

١٨٩٠ - ١٩٤٩ م

بتسلم
الدكتور طاهر عبد اللطيف عوض

مدرس الأدب والنقد

من هو المازني؟

ابراهيم بن محمد بن عبد القادر المازني^(١)، أديب، حفاف، ولد في ١٩٦
آب، وتوفي في ١٠ تشرين الأول، تخرج من مدرسة المعلمين العليا واشتغل
بالتدريس حيناً في مدارس الحكومة، ثم استقال، وأخلص للكتابة
والصحافة، وانتخب عضواً بالجمع العربي بدمشق، والجمع التغربي بالقاهرة
من مؤلفاته: (حصاد الهشيم، رحلة الهجرة، شهر حافظ، صندوق الدنيا،
وقبض الريح).

بيئة المازني ونقاشه:

نها المازني في بيته يوحى بالتراث وعراقة الأصل، وهو فعلاً كان كذلك،

(١) انظر معجم المؤلفين — المجلد الأول — ص ٩٩، دراجع سهم
المطبوعات العربية والمصرية ص ١٦٠٧.

إلا أنه لم يسلم من التعرض للحاجة ، إذ يموت الآب فيحسن الصنفه بالبيت الحقيقي والمادي ، وكأن يسكن أن تposureه الرعاية الصالحة من أخيه الأكبر ما فدده ، ولكن الأخ يستولى على أمواله وبيدها ، وقد ترك هذا في نفس المازف أثراً عميقاً جعله يعتقد ويقول : « والفقر في المال فقر كل شيء ». كما عرفنا ذلك حتى في طفواني »^(١) .

ولا يبقى للمازف من دنياه إلا الحنان الكبير والعطاء المحدود ، والدعاء الباقى ، من أمه تخنو عليه ، وتحاول أن تملأ حياته وتغوضه عن بيته وفقره وتتسخ عن وجهته دموع الحزن والأسى الذى طالما ظهرت واستمرت ملازمة حياته ، ولكن سرهان ما يفقد أمه الذى أحباها الحب كله ، فلم يترك حبها في قلبه مكاناً لغيرها من جنس البشر ، وتنصي به الحياة في ذلك الحى الشعبي بالإمام العادى بمنزل والده يحيطه الوراد الذى يضيق معنى الأصلة في حياته ، وله ورث ذلك عن جده ، فقد كان من العلماء ، وله تلاميذ كثيرون ، وفي حصن الدار مصل يبارك أهل الحى بالصلة فيها خلف جده .

« إن نشأت نفأة دبية ، وأعني بذلك أن أهل من أهل الورع والتقوى والصلاح وأن يبتنا كان في نفائه مصل ، أو مسجد صغير ، عاصراً أبداً بالصالحين ليلاً ونهاراً »^(٢) .

وتنصي الأيام بالمازف وبتولى حمه تربيته ، وبتضيق صدر ذوج حمه بإقامته مهم ، ويعمل المازف علة ضيقها بأنه ليس لها قواه بل أضعف شخصية حمه بالمنزل فقد أوحىت لعمه بأن يذهب المازف للتعلم بالأزهر وحرمانه من التعليم

(١) في الطريق ص ١٢٣ .

(٢) صندوق المليا ص ١٥٠ .

الحادي ، ويظهر في الأفق أن المازني أحب ابنته عمه مع علمه بكرامة
أمها له ، فتحول من إقام دراسته بالازهر إلى دار العلوم ، وبعد أن تخرج
منها ترك بيت حمه ، وأقام في حجرة قانعاً راضياً بما تجود عليه منه التدريس
بمدرسة بنيها الابتدائية ، والظاهر أنه كان يحملو له أن يتحدث كثيراً عن
 مواضيه ، فقال :

وكان عمى ضعيفاً لا يستطيع أن يخالف لزوجته إرادة أو أن ينهى
لها في أمر ، فتركها تحرر من التعليم الحديث وترسل إلى الأزهر (جاوراً)
حتى منها على بأكفر من القوت الظروري ، والمعكوسه التي لا غنى عنها ،
وأحسب أن كراهة امرأة عمى لي وحي لبطئها مما أذان جعلا من رجلا
مستقلأ وأغر يان بما صنعت فقد تحولت عن الأزهر إلى دار العلوم ، وقد
دفعني إلى ذلك أن الطالب يأخذ في الشهر جنيهاً على سبيل الإعانته ، ولا أطيل
تخرجت في دار العلوم وأصبحت مدرساً أتفاهي في الشهر ثمانية جنيهات
لا واحدا فقط ،^(١)

وبعد أن تخرج المازني في دار المعلوم بدأ يحصل موهبه ويشقها بالمبدىء عن الآداب العربية والغربية فانتسب إلى مدرسة الديوان ، وأنفدت كان حظ هذه المدرسة من الاتصال بالثقافات الأجنبية عظيمها ، فكانت لهم آثار بعيدة المدى في حياتنا الأدبية والفكرية ، وقرأ المازني في الآداب العربية والمالمية ، وأعجب بالماجحظ ، وافتتن بفن الساخر فالتحق بميراثهما مما جعله يمكث على قراءة كتبه نهر البيان والتبيين ، والحبوان ، والبغلاء ، كذلك قرأ ابن الرومي وأعجب به لما بينهما من الاتفاق في المزاع والميل للسخرية ، والهجاء ، والتشاؤم والتطير ، والتأثير بالمواجس والأوهام .

(١) مختارات من أدب المازنی ص ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١١.

وكان قراءات المازني في الأدب الغربي واسعة اسْتَهْلِكَهَا بِهَذَا لَهُ، وـ «سانين»، الروسي، وـ «دواوبن»، «بيرون»، وـ «شيل»، ومن ثم فقد مارس المازني الترجمة، وكانت لها أثر بعيد في بعض مؤلفاته، وفي أكثر حالاته لا ينخدع إلا الألفاظ النية والمغان السرية، ولا يخون نفسه إلا المشاهد الفخمة والمظاهر الرائعة يحرك لها بكلمه أحلى الألفاظ وأروها فأسلوبه جذب إليه عقول وقلوب الساعدين والقارئين، وذلك لإخلاصه للأدب، وخفته ظله، وعدم تساميه على قارئه، وهي أيضًا الأمور التي جعلت المازني عبأً (أشار لزلام) الفصحي الأنجلزي.

(إن أحب من فخار لسلام أسلوبه، وإن كنت أحب منه روحه، وزواجه، ذلك أنه لا يطيل، ولا يكرر ولا يكتظ كلامه بالحزن ولا يتساءل على القاريء، وهو خفيف اللقال خالص، يحب الأدب ويعدى القاريء بحبه هذا، وقد صرت أعرف أن الذي يقول: إن أحب كتاباً لأسلوبه، إنما يعني أنه يحب فيه خصائص معينة نطاشه من المادة التي يسوقها الكتاب) ^(١).

المازني بين الوظائف:

نعلم أن حياة المازني كانت مجموعة من المواقف التي يحيطها خوفه وقلقه وأضطرابه، فلم يكن يمسك في حمل حتى تهدى يتبعون منه ويضيق به، وتلك هي صفة خاصة بأصحاب المشاعر الفياضة، والأحساس المرهقة، والطبع الرقيق، فتجده أنه سلك أكثر من طريقة، وعايش أكثر من وظيفة، منذ تخرجه في دار العلوم، عمل بالتدريس وكان لا يجد نفسه وهو أهله فيها، بل مارسها من أجل أن يسد غاثلة الجروح ومتطلبات الحياة، ثم تراه يلتقل بعد أن يغير التدوين إلى عالم الصحافة، وهي مهنة ليست بالمهيبة عليه، فقد عمل بها قبل اشتغاله بالتدريس، من عام ١٩٠٧م، حرراً بجريدة

(١) المرجع السابق.

له ستور، ثم ينقل إلى جريدة الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي «البيان»، ومن ثم يكتب في «البلاغ الأسبوعي»، والرسالة، والثقافة، ثم يصدر مجلة «الأسبوع»، ذات طابع سياسي، ورأس تحريرها مجلة «الاتحاد»، ثم حزب في دار الملال، كذلك بجريدة «أخبار اليوم»، وال غالب على مقالياته لون السياسة والنقد الأدبي والاجتماعي.

(إن أكثر مؤلفاتي - كما نعلم - مقالات نشرت في الصحف فأنا أكتبها في الواقع عائضاً لطبيعة العمل في الصحيفة التي أعمل فيها، فتارة أكتبها صباحاً، وأخرى أكتبها مساء، ذلك لذلِك يمكن الموضوع الذي أكتبه من الأهمية بحيث يستدعي هناية خاصة من مراجعة واسعة، فإني في هذه الحال أجده مضطراً لكتابته في ساعة مدر، شامل لا يمكن من بعث واستقراره) ^(١).

فالمازنى حفظى وأديب فى وقت واحد، ولذا يعد من طيبة الصحفيين من حيث الإنشاء والبلاغة، وقد هرَفَ في عالم الصحافة منذ أن كان يشتغل في الأخبار، عربطاً بالمرحوم أمين الرافعى صلة صداقة وثيقة ثم قلد رئاسة تحرير أكثر من مجلة، وقد شارك بقلمه في الحركة الوطنية عام ١٩١٩م، فكتب ملحوظات سرية مع الناشرين، وكانت هذه المقالات بمثابة انتقال في أوسكار المازنى أثرت فيه وفي قلمه.

وليس كما يظن بعض الناس أن المازنى في كتاباته ومقالاته، يجد السعادة في إخراج ما يريد أن يعبر عنه في أي وقت شاء، فليست هذه سعادة المبدع المبتكر، بل ربما العكس من ذلك، يجد الجهد والمشقة حتى يتفاعل ويتنازع بما يكتب، حتى تأتي كتاباته صادقة، فهي مهنة ليس بالبساطة، بل هي أشق على الكتاب من وضع الحامل، بجانب ذلك إذا لاحظنا اختلاف مضمون مقالاته وكتاباته، ظهر لنا مدى الجهد والمشقة المضنية التي

(١) مجلة كل شيء - العدد ٢٤١ - حلقة ١٩٣٠ ص ١١.

كانت تتحمّلها أحاسيس ومحاور المازنـى ، وقد يـأ قال صاحب كتاب
الحمدـة : (عمل الشاعر المـاذنـى لمـ أشد من نقل الصـفـر)^(١) ، إذا كانت تلك
في صـنـاعة الشـعـر فـاـ بالـأـفـيـعـنـ كـانـ يـكـتـبـ شـعـراـ وـنـثـراـ ، وـفـيـ خـرـوبـ وـأـدـكـالـ
خـتـلـفـةـ خـيـرـ مـوـلـلـةـ ، لـاـشـكـ كـانـ أـكـثـرـ جـهـداـ وـمـعـةـ .

(والتـفـوسـ كـاـ هـذـهـ الـآـلـاتـ أـوـتـارـ تـحـتـاجـ إـلـىـ المـعـاـلـجـةـ ، وـالـإـلـاصـاحـ ،
وـالـإـعـادـ ، وـلـكـ عـجـبـ مـلـىـنـ يـحـسـبـ أـنـ فـيـ وـسـعـ الـكـاـبـ أـوـ الشـاهـرـ أـنـ يـكـتـبـ
أـوـ بـنـظـمـ فـيـ أـيـ مـوـضـوعـ وـفـيـ أـبـةـ سـاعـةـ مـنـ سـاعـاتـ الـلـيـلـ أـوـ النـهـارـ وـفـيـ كـلـ حـالـةـ
مـنـ حـالـاتـ النـفـسـ ، وـقـدـ يـتـخـذـ بـعـضـهـمـ ذـلـكـ دـلـلـاـعـلـ الـقـدـرـ ، وـمـاـهـ بـدـلـيلـ
إـلـاـعـلـ نـفـسـ ضـيـقةـ مـخـدـرـةـ الـجـوـانـبـ ، كـالـبـيـانـ الـبـيـانـيـ الـذـيـ يـحـسـلـهـ
الـمـسـلـوـنـ وـالـذـيـ لـاـ يـجـتـاحـ إـلـىـ ضـارـبـ أـوـ لـاـهـبـ وـلـاـ يـنـطـلـبـ مـنـكـ إـلـاـ انـ
تـدـيرـ مـفـاتـحـهـ فـيـغـرـجـ لـكـ أـنـفـامـ مـعـيـةـ لـاـ يـعـدـوـهـ أـبـداـ ، عـلـ خـلـافـ الـبـيـانـ
الـعـادـىـ أـوـ الـكـنـجـاـ الـذـيـ قـسـطـبـعـ أـنـ تـنـطـهـاـ بـاـنـهـاءـ وـتـوـقـعـ أـوـتـارـهـاـ مـاـ تـحـبـ
وـالـذـيـ يـسـعـهـاـ أـنـ تـوـهـىـ كـلـ مـاـ تـسـطـبـعـ اـبـتـكـارـهـ مـنـ التـوـافـقـ ، وـالـتـوـافـلـ

الـمـوـسـيقـةـ^(٢) .

(١) المـدـةـ ٢ـ صـ ١١٧ـ .

(٢) مـسـنـدـوقـ الـدـيـانـ صـ ٤٠ـ .

شخصية المازني

والشخص لآدب المازني ، يجده ذاتياً بما يشهده فيه من شخصيته وما تشبعه دروحة من فكاهة ساخرة ، ويطفو على سطحه الحزن الدفين ، والابتسام الراهن لمعرفة الطبيعة الإنسانية ، مزاياداً ، وصيراً ، ومن ثم كان لا بد لإتمام المازنة من البحث أن تشمل المصايب ونسلط الأضواء على شخصية المازني حتى تتضح لنا الشخصية التي تحدث عنها في وضوح وجلاً .

١ - صبي المزاج :

نشأ المازني في الفترة التي تبدأ ببداية القرن العشرين وتنتهي بطلع الأربعينات ، والاحتلال في شدته ، وفي بيت وبيئة تجمع من المتاقضاته الكبير ، فلم يكن بيته مسجيناً تماماً فهو خليط من الذوق القديم والحديث ، كذلك كان موقع المنزل الذي تقطنه الأم بين حي الإمام الشافعى ومسجد حمو ، يجمع بين مساكن الأحياء ، وبين الصمت السرمدى ينشى المقابر ، كذلك يتبعه وهو ما زال في مهوعة الصبا ، وبهذه الآخى الأكبر أمواله . ويتحول عمه تربته في يده يوحى كل ما فيه بعدم الرغبة في وجود ذلك الغلام به ، ثم هيئته الجسمانية من حائلة ، ولصر قاته ، وما أصحابه من المرجو ، وكذلك طفله في حبه الأول لابنته عمه ، وموت ذوجته الأولى أم أولاده ، كل هذه المصائب جعلت من المازني شخصاً ذو إحساس مرتفع جداً المزاج عصبي الانفعال شديد التوتر والاضطراب ، يريد أن يرسل البسمة ولكن سرهان ما تهرب من شفتيه من كثرة ما عاناه من مرارة الأيام ، فهو غنائج المخواطر ، كثير القلق والاضطراب ، لا يعرف ليته من نهاره .

آخره إبراهيم يا مصطفى كالبحر لا يهدأ أو يتربع
كالبحر حي الموت يقتله لكنه من نفسك في طربع

من حوله اللہ۔ مثان لا قلشی محبیہ دون انسیام الفتوح (۱۰)

علَّ أَنَا نُشَهِّرُ هَذَا إِلَى حَادِثَةٍ وَقَعَتْ لَهُ، وَهُوَ مَا زَالَ صَغِيرًا، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ يَوْمًا إِلَى بَيْتِهِ وَجَدَ جَمِيعَ آدَمِيَّةٍ تَعْتَرَضُ طَرِيقَهُ مَا آتَاهُ فِي نَفْسِهِ الْخُوفُ وَالاضطِرَابُ، يَضَافُ إِلَى ذَلِكَ إِيقَاظُ مَهَاجِرَهُ بِالْخُوفِ، مَا بَصَبَعَ شَخْصِيَّتِهِ بِالْحَمْدَةِ فِي الْمَزَاجِ.

(ولا أهري كيف كان ذلك لعلها كانت انتقامه وملفأة في طريق المقابر في انتظار من يدفنها ، ويبيت بها بذلك أثر الجريمة عن مرتكبها في المدينة)^{٤٣} .

ولعل مرجع قوله : (ولقد كنت مريض الأعصاب كثير الأوهام والهواجرس ، فلما أعيتني الحيل ولم يجد في طلب الأطباء أو حيت إلى نفسي أن شعوري كاذب وأنني صحيحة معافي البدن فبرأت)^(٣) .

ذلك الماء في الساعة .

فالمزاج المضي والقلق الذي عاناه المازني ناتج عن الأحداث والظروف التي مر بها في حياته ، ومن حساسيته المرهفة بكل ما حوله ، أو أن هذه الحساسية كانت مظاهر القلق ، وقد جعلته في بعض الأحوال بظلم الناس له ، فقد تعرض لغدر الكثير من أصدقائه على ما يبدو ، وربما لغدر غير مباشر مما كان له الأثر السعي في مشاعر المازني ونفسيته ، فبقدر ما يكون قرب الإنسان للشخص يكون غدره له أوقع وأنكل وأشد ، ولا شك أن المازني تأثر بظروف وتجارب خاصة جعلته يذكر من ظلم الناس له .

(١) المراجع السابق ص ١٥ .

^{٢)} خپوط المندكبووه ص ١٢٠

(٢) صندوق الديبا مص ٣٠٠، ٣٠١

ومن كأن إخوان المرء إلا أظلم الناس له وأقلهم تقديرًا لمزاجه ، وأشد م حى عن فضائله وتحسها لغيره)^(١) .

وهذا المزاج المعنى لشخصية المازني جعله دائمًا فلقا مضطربا ، بحس أحياناً بضالته ، بل ينتد إحساسه إلى عدم الجدرى من وجده في ذلك السكون الفسيح ، فهي حالة صراع لإثبات الذات أمام قيارات الفلق والفتور التي تتعاقب على الشخصيات التي تعانى من فرط الإحساس ، وعذق المهاجر ، وما أكثر أن ردد ذلك الفلق في حوار أداته مع نفسه ، عليه يجد الراحة في إخراج تلك المهاجر والتخلص منها .

(وانت ماذا بـأسألك الليل ؟ يسألني عن أشياء كثيرة ... لماذا أنا كالعرد من الشى يسبح على متن البحار يلقىه الموج هنا وها هنا ولا إرادة للموج ... ولا رأى له في نفسه ؟ وإلى أين كان يتوثر العرد ؟ أن يذهب لن رزق الإرادة وألوى القدرة على التحكم في البحار)^(٢) .

والشخص المعنى المزاج سريعة الغضب ، سريعة الرضا ، لين بعض الذين ، لا تستهويه مناظر الطبيعة ، فلا يراه متعدداً لرؤيه شروق أو غروب ، ولسكن الحسن في الأحياء يهزه وينعم نفسه بالتأثير ، وتلائى ساعات واضحة في شخصية المازني ، فهو يطرب للسماع لكن بغير استغراق ، وقد تضطرب أعصابه أيامًا فيارق ويكتسب ، وذلك حين تثور فيه ذكريات الماضي ، فإذا طال به أمر هذه الفترة شكا النعف والقسى الراحة .

(١) مختارات من أدب المازني ص ٩٩٠

(٢) المرجع السابق .

ويبدو أن حالة القلق والاضطراب التي لادت الماذن جعلت منه إنساناً ذا حساسية شديدة بكل ما يدور حوله، شديد الملاحظة لما يقع عليه حسه ومشاعره، فاستطاع بحسه المرهف، وشدة ملاحظاته الأشياء والظواهر أن يلتفت بسموه ويسر العبد من الصور البشرية في أشكالها وأنماطها، وكان أكثر ملاحظة لنفسه ومراقبة لحالته، فكان فقره وضالله جسمه وهرجه، سبباً لإيقاظ الإحساس الشديد والملاحظة المستمرة لذاته، وأثر مظاهر على الآخرين، وإن كانت ذلك على شخصيته، وبالتالي انعكست تلك الملاحظات أكثر من مرة في أعماله.

(وكأنما نكر من الخدم لمى الملوخطة وقامتي القديمة العرجاء ونظرة الحيرة والقلق ، يسلوا يصورون عيونهم ويصدونها في ، وضابقني أحدم بكثرة لحظاته، دجل أو بما ترجمته من ذلك)^(١).

فقد كانت شدة ملاحظاته ، ناتجة من توم ، أو ربما كان مطابقاً لحالته النفسية ، وإن كانت تحلبات حسه بين يومه وأمسه ، بلamt في أعماله ، ونصراته وأضحة ظاهرة ، وذلك حتى يستطيع أن يخفف حدة هذا الصراع الذي يحاول أن يفترسه ويحطمها ، وتلك طبيعة من يشعر بالعجز في نفسه ، فتأتي تصراته أكبر وأحد مما يتطلب الموقف ، حتى يحدث التوازن بين ضعفه والصراع النفسي الداخلي ، وليس معنى ذلك التشفي والعدوانية ، بل ذلك يأفي من أعمال الفنان لا يأكل ما أحسه من نقص .

(وذكر على أن أدى هذا الزنجي المسيح الخلقة بتغافلها وبدور من ووائى ليسنى له أن يتأمل – وهو آمن – حداني واختلافهما ، فددت له ساقى

(١) صدرق الديبا ص ١٧ .

فَكَبُرْ وَخَطْرَسَةُ ، وَدَعْوَاهُ إِلَى بِإِشَارَةِ مَا ذَهَبَتْ مَأْوَاهَا الْمَجْرَةُ وَأَمْرَاهُ أَنْ يَسْقِينِي
شَبَّاً ، وَأَقْسَمْتُ لِأَهْجُونَهُ :

يَقُولُ اللَّعِينُ : قَزْمٌ يَلْقَبُكَ
يَسْأَدُ عَرْجَاهُ ذَاقَ التَّوَاءَ
إِنْ أَكْنَ فَرْمَةً فَإِنْ قَرَافَ
طَوَال جَدَّاً بَغْرِيْ اتْهَاءَ
كُلُّ ذَيْ هَاهَةٍ وَلَا شَكْ جَبَارَ
خَادِرٌ مِنْ رَجُلِ الْمَرْجَاهِ^(١)

وَالشَّخْصُ شَدِيدُ الْمَلَاحِظَةِ لَا يُسْتَطِيعُ أَنْ يَعْصِي بِسُوْلَةِ مَا نَقَعَ عَلَيْهِ حَوَاسِهِ
بَلْ تَظَالُ خَاتِرَنَا فِي عَقْلِهِ الْبَاطِنِ تَوْرَقَهُ وَتَفْرَعُهُ ، وَمِمَّا حَوَّلَ إِلَخْفَامَهُ ،
أَوْ سَقْرَهَا ، إِلَّا أَنَّهَا تَظَهِّرُ فِي أَفْوَاهِهِ أَوْ أَفْعَالِهِ ، فَنَذَ أَنْ كَانَ صَبِيًّا وَمَا أَكْثَرَ
مَا شَاهَدَهُ فِي رَحْلَةِ ذَهَابِهِ وَرِيَاهِهِ لِبَيْتِ السَّكَانِ بِالْإِيمَامِ الشَّافِعِيِّ ، ذَلِكَ الْحَسِينُ
الْقَدِيمُ وَالَّذِي يَجْبِعُهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَقَابِرِ ، جَعَلَهُ يَفْكَرُ كَثِيرًا فِي الْمَوْتِ ،
وَذَلِكَ لِرُوْبِيَّتِهِ الدَّائِمَةِ الْمُسْتَأْفِنَاتِ صُورَةُ الْحَيَاةِ بِمَا فِيهَا مِنْ حَرْكَةٍ وَنَبْضٍ خَارِجٍ
عَنِ الْإِيمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَالسَّكُونُ الصَّامِتُ الْمُفْيِضُ حَوْلَ تِلْكَ الْمَقَابِرِ دَاخِلٌ
ذَلِكَ الْحَسِينُ ، مَا جَعَلَهُ كَثِيرًا مَا يَفْكَرُ فِي الْمَوْتِ .

«مَنْ كَانَ الْمَرْءُ فِي صَدِ الْعَمَرِ يَفْكَرُ فِي الْمَوْتِ عَلَى أَنَّهُ حَقِيقَةٌ قَرِيبَةٌ
لَا مُهْرَبٌ مِنْهَا وَلَا مُعْدِيٌّ عَنْ مَوَاجِهِهَا»^(٢).

إِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظَرُ فِي شَبَابِهِ إِلَى الْمَوْتِ - حِينَ يَجْرِيْهُ شَيْءٌ بِيَدِهِ - كَمَا يَنْظَرُ
إِلَى شَيْءٍ وَرَاءَ الْجَبَلِ - لَا يَفْهَمُهُ وَلَا يَهْرُكُهُ وَلَا يَعْرُفُ كُنْهَهُ وَلَا يَتَصَوَّرُهُ إِلَّا
عَلَى أَنَّهُ الْمَجْوُلُ الْمُبْعِدُ»^(٣).

وَتَمْتَدُ شَدَّةُ مَلَاحِظَتِهِ لِيُسْتَقْبَطَ الْمَرْيَاهُ . بَلْ إِلَى الْمُظَهِّرِ الْخَارِجِيِّ
وَهَلَالَهُ النَّفْسِيَّةُ الْمَبْهَشَةُ خَلْفَ صَاحِبِهَا ، فَتَقْعُدُ مَلَاحِظَتُهُ عَلَى حَارِسِ الْخَوْلِ

• (١) المَرْجَعُ السَّابِقُ ص ١٨، ٢٢٢.

وتفوص به موته إلى العمق النفسي للحارس حتى يستطيع أن يستخرج
ما بداخله ، وفي ذلك دلالة على أن المازن أعمى موهبة فذة في شدة
اللاحظة .

وكان دائم البشر ، لا يتجهم ولا يكتتب ، ولا يهدو الناس إلا طلق
الحياة ، ضعوكا ، طيب النفس ، حلو الدعابة ، ولم يكن يسأل لا الشمس
ولا الرياح ولا المطر ولا التراب ، وكان يغطى ناره على هذه الحجر ، فإذا
فاحت الشمس ودخل الليل ، اختفى كأنما ابتلعته الأرض ، أو اشتق له
الحجر فتاب فيه ، فكل ما يمرره الناس من أمره أنه هذا مكانه قيادة
المسجد وأن كل راكب يهول إليه وينزح عنده ، وبضم بين أصابعه
زمام دابته ،^(١) .

٣ - ساخر :

كانت حياة المازن وما طرأ عليها من بعض المتناقضات دافعا قويًا لميوله
للسخرية ، وذلك في حقيقة الأمر رغبة لإرادة الانطواء الذي لا يسعه فترة
من حياته ، فهو دائم الشعور بالوحدة ، يرى أن رحلة الحياة طالت أو فترت
ما هي إلا لحظات ولا بد أن تمضي سريعة ، بلاده سخرياً أنه من الحياة
والإحياء ، تطوى على معانٍ دفينة في نفس المازن ، خلفة هبها أهياها
ومستورياتها ، وما بها من متناقضات ، وما تغير عليه من حسرات .

وتبليغ براعة المازن في ذلك عندما نجده يسفر منتصر قاتم ،
وهرجه :

وآخرنا الفصیر يکبر أضعاً واصکن عن صحة واملاه

(١) مختارات من أدب المازن ص ٧٢ ، ٧٤ .

وأنتي سائل يقول عن الملاع
أنا من كربه في بلاده
قال كنت الفصیر قدما فاما الا
ن فالضخم هائل الاتحام^(١)

وتعنى السخرية بالنفس أن صاحبها على درجة عالية لأن يضحك من نفسه، وهي أيضا نوع من التمثيل عن نفس صاحبها ووسيلة يختفي من خلف ستائرها الفكرى من الألم والفقر والحرمان، وهي أيضا من الصراحة النفسية التي تدل على مدى الإحساس بالذات وعدم الإغفال عن عيوبها، فهو يعمد إلى أن يلقيت إليها . وهو بذلك العمد يريد أن يوضح مدى معرفته بذاته وبيان عيوبها حتى لا يفاجئه الناس بها ، فنانى سخرياتهم منه أشد وأوقع من سخريته بنفسه .

إن المازنی يستصرخ حياة الإنسان في جانب آمال الخلوة ومصالح الآثار ، لـ^(٢) أنه ينظر إلى أهل ولا ينظر إلى أهلى ، فيقبس ما عمل بما أراد أن يحصل ، فإذا هو دون ما أراد أن يعمل وإن كان فرق ما أراده هاملاً آخر وفـ^(٣) .

وقد استطاع المازنی أن يظهر شخصيته من خلال أسلوبه الساخر ، فأعطى صورة صادقة عنه ، ومن ثم جاء أسلوبه مطابقاً لشخصيته الساحرة الساخرة ، في أتم وجوه السخرية وأعذبها وأقدرها .

ونظير براعته الساخرة في استعمال المفردات جاماً بين المركبة والمبتدأ وذلك في حواره الذي تخلله مع حماره الذي كان يحتلبه ، وانكاس هبته وتنابعها مع حركاته .

ولكن بعد أن فكر قليلاً غير رأيه ، إما لأن الصورة التي كانت طالعته في صفحة الماء كانت مضطربة مشرقة وغير الماء عن أداء ما فيها من

(١) سندوق الدنيا ص ١٩ .

(٢) مقدمة حليل الحياة ، بقلم محمود عباس المقاد .

جمال وروعة، أو لاعتبارات حاربة أخرى لم يكاشفها ، فقد كان فيها
عناء وصلف وكأن يأبى أن يتوسط الطريق ولا يرضه إلا أن يحل جنبه
في كل ما يلقاه من شجر أو هربة أو حافظ ، وتموّد منه ذلك وقطفت إلى
أنه ذو مزاج مستقل فسكنه أتركه واقفا حتى يتنبه من هذه الإغفاءات ،
أو يعود إلى سجلات عقله السقراطية ،^(١)

وتحتاج سخريات المازن في بنياله الحصب ، والواقع المباشر ، المعبر عن
دلائل نقبية لصاحب الشخصية المهززة ، وذلك من خلال سخرية من
شخصية الصحن المضطربة غير الواثقة بذاتها ، وأهل المازن في ذلك يسخر
من ذاته ويصف حاله في بداية اشتغاله بعالم الصحافة ، يكتب تلك السخرية
شخصية غيره ، لذلك الصحفى المهزوز القلق المضطرب .

«وقدم له العلبة فأخذ منها واحدة وأسقط واحدة أخرى على المكتب ،
واستطاع فضلا عن ذلك أن يطوي بها بعض أوراق وانحنى يريد أن يلتقطها
ويبعدها إلى مكانها فقدم المكتب برأسه ونزل الطربوش إلى أذيه ،
فضحكت الوزير» .

وليس مفهوم السخرية عند المازن الضحك شخص ، بل ترمي إلى معالجة
المفاسد ، وتقويم الموج ، فالسخرية بهذه الحالة تعبيراً عن النفس ومقابل
لمن يهترؤون على المجتمع ومقدساته ، ووضع مقاييس للذوق العام وحاجتها
من أيدي ومخابر الفاسدين ، ولذا نراه يسخر من «حال السلوكيات الفربوية
في إعداد النشء ، بما تسلم المجتمع في النهاية للضياع» .

«ونجمل الصفار هم الذين يبقون في البيت لتدبير شئونه ، والكتاب هم
الذين يذهبون إلى المدرسة ، ونلبسهم ما يلبس التلاميذ والتلميذات الآن من
البدلات القصيرة ، ونقross بجدلتك شعرها ونخرجها في قبعة من قيمات البنات
الصفحة ونضع لها على صدرها صورة ، ونبعث بها إلى المدرسة ، وإذا لم

(١) مندوقة الدبيا ص ١٩٠٩٠ .

نحفظ دروسها عاقبناها بالوقوف ووجهها إلى الماء ، وإذا أكثرت من اللقب حرمناها الخلوي وإذا لم تم في الساعة الثامنة عددها ستة الخلق عنيدة ، ولم تخرج بها للرياضة يوم الجمعة^(١) .

فظاهر قوله الفسامة والضحك ، ولكن مضمونه معانٍ قة في السخرية المزيفة اللاذعة ، ترسى إلى بيان حالة التدهور في عدم الاهتمام ب التربية المنشورة ورعايتها ، فهو عدة الأمة وأمل المستقبل للمجتمع الإنساني بأسره .

(١) المرجع السابق ص ٣٤ : ٣٥ : ١٥ .

مؤثرات في شخصيته

١ - البيت :

كان له تأثير واضح في شخصية المازفي، وخاصة وهو مازال طفلاً صغيراً، تصدعه الحياة بفقد الوالد وما أن يصل إلى ميعنة الصبا تصرعه الدنيا بموت أمه وهي التي أحبها الحب كله ، ثم ترثيته في منزله عنه وإحساسه بالصداع والفقير والحرمان ، يضاف إلى ذلك تبديد ما كرمه له الوالد من أموال ، فاجتمعت تلك المؤثرات في شخصيته، وارسمت في كيانه ما جعله دائماً في حيرة ونوم وارتباك ، فقد تحمل أعباء نفسه ولم تزل يداه غضة ، وأنفلت كواهله مطالبها، فأحس وهو سفير مطالب أن يركض الرجال ، وبكد في السعي عن المال ، حتى يخفف عنه نفسه الأحوال ، وهذه الصحاب بدورها أدت إلى انعكاسات أثرت في وجدانه ومشاعره ، بالإضافة بأنه ذو مشاعر وأحاسيس رقيقة ، تحس بكل ما حولها ، فزاد من ذلك إحساسه بالحياة وآلامها ، مما جعل عيناه تدمعن على خديه وهو لا يزال صغيراً ، وتحبس حركة رضا الطفولة في قلبه وهو لم يزل يحيط على مدارج الحياة .

والخامس معدورون فإن وطأة الحياة أقيلة ، ويتمكنون لو استطاعوا أن يجعلوا الدنيا جنة رفافة البشر ، ولكن هموماً تهمّ عليهم الصدر ونغلص الوجه ونطفي لمعة العين ونحبس البشر الذي يريد أن يطلق وتره الضحك التي كانت تهمّ أن تفرقع ،^(١) .

٢ - حياته الجسمية :

فقد كان لقصر قامته وضئالته الجسمية ، أثر على نفسه ، وردد في

(١) المرجع السادس ص ٣٤ ، ٣٥ ، ١٥ .

سخر ياته ذلك كثيراً، فهو دائم الشعور بذاته، يخشى أن يصيّبها فوق ما أصابها أو يخشى النظر إليها بما لا يوافقه موهبه، فلم تدع هبته الجسمية ، كتاباته سببها للدسان ، بل هو دائماً يهين إليها ، وهو في ذلك غير طابت ، بل يزيد أن ينخلص من عقدة نفسه ، وهو ما يسميه علماء النفس التعبير الذاتي بالترويج عنها ، والنخلص من أعانتها بإسقاط ما بداخليها من مشاعر النفس والفرد .

«أنا كالغيل - لا في الجسم فإني خفيف دقيق لا أثقل أرضاً ولا أسد فضاه ، ولا في الجلد بل إن جلدي شف رقيق كثياب النساء في الصيف ، فهو لا يسبّب شيئاً في جوفي ، ولا يجُوّج الأطياه إلى الأشعة ليروا بها ماقته ، وكل إنسان يستطيع أن يرى قلبي حتى من فوق الثواب ، ولكنني كالغيل في شيء واحد هو كرهه للوطاً ويط »^(١) .

وترسم سخر ياته بالملائكة ، مزروحة بالتجسيم ، من أن يصل إلى ما يزيد التعبير عنه : «أزيد على ذلك أني ولدت بغير أسنان ، فأنا لهذا أفضل كثيرين من الأدميين ، غير أن هذا حرمني القوت زماناً طويلاً فلبتت لا أطعم غير اللبن وهذا تمليل حالتة جسمى واضطراري بسبب ذلك إلى القعود عن المعلى الذي كلف بها أجدادى الأماجد من أمثال ابن أبي سعيد المازنى ، فقد ولد بأسنانه كاملة وكأن مبطاناً كولاً ولخلاف ظنياً مرهوب الجانب »^(٢) .

على أن إصابة ساقه بالعرج أثر في نفسه ، مما انكس بدوره على شخصيته وجلب لها في بعض الأرقان الصنيق والضجر ، والشعور بالإرهاق والإكتئاب حلم بحد متقدساً أو مهرباً من تلك العادة إلا أن يسخر منها ، ويجهون على نفسه

(١) في الطريق ص ٢٢٥ .

(٢) صندوق الدنيا ص ٨١ ، ٨٢ ، ١٨١ .

بيان العاهات لم تقتصر على أمثلة ، بل أسابيع الكثيرة من عظمه الفكري والأدبي ، وبذلك يهون عن نفسه ويجد لها العزاء في عاهاته .

كل ذي عاہ دلچسپی کے جبار
خداور من رجل الم رجاء
کان قیمود امرج الساق فافلن
لمعان العاہ ات والاہواه^(۱)

١٨٠٨٢٠٨١ ص (١) صندوق الديبا

فلسفة المازن في الحياة

معلوم أن المتبع لحياة وتاج المازن يعلم أن فلسفته في الحياة «الضحك»، ولكن الضحك الباكى الدائى ، فليس خلاصه عن فراغ قلب من هموم الدنيا وانصرافه عنها ، ولكن هو ضحك له أعمق الفلسفة ، فهو يختفى من خلفه آلامه وأحزانه ، ويستتر به حتى يستطيع أن يعيش فى دنيا الإنسانية بعد أن عارك الدنيا وعارضته ، وذائق منها اللونين ، فلم يجد مفرأً من مصائب الدهر ، ولذا يغلب على المازن خلال الفترة الأولى من حياته الاقياض والاضطراب ، وعلمه في ذلك لقرب عهده بمسايه وما صادفه في دنياه ، ولكن نحمد الله عندما استقرت عاطفته وهذا من رواعته مع الحياة والأحياء ، وأعشقاته على مستقبله بذريعة سبطه في دنيا الفنون والأداب بمحبه أقل حدة ، وأعذب أسلوبها ، تلك هي المرحلة الثانية من حمره ، وقد أشار إلى ذلك في كتابه «ابراهيم الثاني» ، حيث تغيرت الأشياء والظواهر في فكره ومشاعره ورأيه وإيل إلى التدر والفكاهة والمرح ، مع ملاحظة بأن الرجل كان في مرحلته كان بطبيعته ساخراً من دنيا الناس والإنسانية .

فهو يرى أن الحياة جليلة هادرة بكل ما يهم المجال في النفس ، ومهما أراد الإنسان تغييرها ليوجد لنفسه عالمه فهو ثابتة ، وبه أرق وبعده ما يتصوره من عالم يرسمه في خطبلته .

«إن الحياة جليلة فاتنة لها قانون لا تملكه أن تخالفه ، ولو أن الحياة تعطى لكـتـ إلينـا اضـطـارـها إـلىـ النـازـامـ هـذـاـ الآـيـينـ ، وـتـخـرـيـهاـ مـقـضـيـاهـ فـيـ كلـ مـادـقـ وـجـلـ ، وـلـكـنـ الـحـيـاـةـ عـلـىـ كـلـ نـطـقـهاـ - خـرـاسـ ، لـاـشـكـرـ وـلـاـ تـبـرـمـ وـتـصـورـ أـنـ قـوـانـيـنـ الـحـيـاـةـ تـغـيـرـتـ تـبـعـاـ لـفـهـوـاتـ كـلـ إـنـسـانـ وـأـهـواـهـ كـلـ فـقـسـ ، لـأـنـ رـاهـاـ كـانـتـ تـعـرـدـ أـرـحـمـ وـأـرـأـفـ ؟ـ »^(١) .

(١) مختارات من أدب المازن ص ١٩، ٩٩، ٢٠.

وإذ أرجمنا إلى مرحلته الأولى من حياة نجده مستسلم للحياة لا يريد أن يخوض بيتها وذلكر لكثره أمواجهها المتلاطمة التي طالما أغرتني وأغرقتني في آلامها، فقد وصلت سخرية من الدنيا إلى حد الالمبالة، وإلى أن يتساوى في عينيه الأضداد، رغم حساسته المرهفة بها وإنداكه المريع لها، فأصبح ينظر إلى النجاح والفشل نظرة واحدة رغم أنه يعرف الحياة، ولهم بها خبرة وطول عهد : « يحس المرء في بعض الأيام كأن هذه الدنيا الحافلة بالموت لا تستحق أن يعنى بها أو يفكر فيها الإنسان ، بل كأن من المستحبيل أن يستطع التمييز بين النعيم فيها والبؤس والسعادة والشقاء ، وكان المرءات والألام والغنى والفقير توائم أو أشباه وأشكال فوق هذه الأرض ، وكان العقل وهو كساحة القضاء تلقى فيها خواج الشعور والإدراك ، م uphol أو مريض أو منسحب إلى زاوية خفية تاركا ساحته الفوضى والأحلام »^(١).

فالإنسان وله الله تعالي الحياة وأعطاه القدرات الكثيرة والنعم الراينة من أجل أن يسعد بها ، ويتسكّيف بقدر قدراته وسعيه ومبوله ، ومن خلال هذا التسكيف يستطيع أن يتحقق لنفسه ما يرجوه من الحياة ، فبقدر ما بها من آلام ، بقدر ما خلق لنا الله تعالى من قدرات على تحملها ومجاراتها .

« ولقد أتى كل مخلوق القدرة على التسكييف ، فن وسعه أن يكون وفق مطالب الحياة ، وهذا يعادل هندى ما يبذولنا من صرامة الحياة وعنت المقادير ، فعم كانت تكون صارمة لو كنا جامدين لأن ذلك التحول ولا يستطيع التسكييف حسب ما تقضى به ظروف الجيش »^(٢) .

ويعلن المازني في صراحة ووضوح عن فلسنته في الحياة بقوله : « خذ الحياة كما تهدىها كيما اتفق - بابتسامة سخر واستخفاف إذا شئت أو بابتسامة

(١) المرجع السابق .

رضا وارتياح إذا قدرت ولكن هذا الذي تصنعه أوه ، كلا . الحياة أهون من ذلك ،^(١)

وكأنه يقول : يجب على الإنسان أن يأخذ من مباح الحياة ويقاومها بغير باسم وفؤاد داخلك مما كانت الظروف ، فالمأذن هنا يعلن عن حبه للحياة على الرغم من سخريته اللاذعة منها ، واستخفافه بها في أوقات كثيرة .

« وما دام الأمر كذلك ، فإن واجبي الأول هو أن أعيش وأحيا ، وأن أحرص على الحياة وأحسن بالعيش أن يفسد شيء بقدر ما يدخل هذا في الوسع ، ثم إنني لم أعط حياة الأبه ، وإنما أعطيت حياة محدودة لها آخر كلاماً أول ، وهذا يضاعف وجوب الحرص عليها والصن بها على المقصدات ؛ لأنها فضلا عن الفخر يسهل زوالها ويعضي معناها بسوء الرأى »^(٢) .

وليس مني فلسفته التراخي والتواكل والتکاسل والاستهان عن السعي في مضمار الحياة والشك من أجل تحقيق الآمال ، ولكنها فلسفة ترس إلى أن يحمل الإنسان وإنما أصب عليه النهاية فلا يتكلّب على الدنيا وكان لانهابه لها ، فالگليس من عمل في دنياه لا خره ، وأخذ حظه من المباح المشروع بكل وحمل وكفاح ومثابرة .

« والحياة لا تعرف نبلأ أو سفاله . ولا كرمأ أو بخلأ ولا مروءة أو لوما ، وإنما تعرف القدرة على المكافحة والتضال وكأن النبات العطّب الذي يرافق العين والأنف ، قد يقضى عليه نبات طفيلي لا خير فيه ولا منظر له ولا مشم ، كذلك الإنسان الخير وبدوسي في معرك الحياة الخيس الرضيع »^(٣) .

(١) المرجع السابق ص ٢٢٠ - ٢٨٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) صندوق الدنيا ٢٠١ - ٢٠٢ .

وقد التقى معنى المازنی مع قول أمید الشعراه :

وَمَا الْدِيْنَا بِمَنْوِي الْعِيَادِ فَكُنْ ضَعِيفُ الرِّحَاةِ وَالْوَدَادِ
وَلَا تَسْكُنْ مِنَ الْأَعْادِ فَشَرُّ النَّاسِ أَكْرَمُ خَصُومًا^(١)

وإذا كانت فلسنته في الحياة الضحك فرأه يتبرم من التوجهين الثقلاء ،
وذلك لغفالفهم طبيعته الباسمة الساخرة .

لَمْ يَنْفَقْ النَّاسُ إِلَى الْآنِ عَلَى وسِيلَةٍ يَدْفَعُ الْمَرْءَ بِهَا عَنْهُ أَقْلَى يَنْصُدُ لَهُ ،
وَيَلْجُعُ عَلَيْهِ بِمَا لَا يَسْعُهُ أَنْ يَجْبِيهِ إِلَيْهِ ، فَالْأَمْرُ مَتْرُوكٌ إِلَى صَدْقَ الرُّوْبَةِ وَمَرْعَةِ
الْأَهَاطِرِ ، وَحْسَنِ الْبَدِيمَةِ^(٢) .

وقبله به حدة الفضب من الثقلاء، معبراً عن ذلك في قوله :

فَلَوْلَا دَهْشَةُ الْمَفَاجِأَةِ وَجَاهَةُ الرَّغْبَةِ فِي الْوَقْوفِ عَلَى سِرِّ هَذِهِ الْزِيَارَةِ
الْمَرْجِعَةُ لِقَدْنَهُ مِنَ النَّافِذَةِ بِكُلِّ مَا فِي الْغَرْفَةِ مِنْ أَحْذِيَةٍ وَمَخْدَاتِ ، بِلْ لَفْسَكَكَتْ
السَّرِيرُ وَهَشَّتْ لَهُ رَأْسَهُ بِأَعْمَدَتِهِ ، مِنَ النَّافِذَةِ أَيْضًا ، فَقَدْ كَانَ فَوْقَ ذَلِكَ كَمْلَهُ
مِنْ أَقْلَلِ خَلْقِ اللهِ^(٣) .

علي أن نظرته للحياة وفلسفته فيها سارت مواكبته له منذ صباحه ، وإن
كان شابها شيء من الضيق والضجر في بعض فترات حياته، وذلك لظروف
وقت له ، ولكن ما انفك فلسفة البسمة والضحكة الرفرقة الصافية ،
والتفتح بالحياة وبما يحيها من حياته .

ـ كان ذلك وأنا في يافع أسوء كل سرح ، وأهون بكل دلر ، ولا أذكر
في غير الساعة التي أكون فيها ، ولا أبني إلا أن استرف حظي من الحياة وإن

(١) الشرقيات ص ٣٥ - ٤٠ .

(٢) مختارات من أدب المازنی ص ١٧٦ .

(٣) سندوق الدنيا ص ٢٧ ، ٢٨ .

أشتوق من أن كرسي منها رؤبة^(١).

إنها فلسفة تمثل تجربة الدنيا من قلبه وأمتلاكه بيده ، والأخذ منها قبل أن تأخذه في ذهابه ، الواقع أنه عالج تلك الفلسفة ما وقع له من أحداث جسام في حياته ، بما دفعه على السهر والعمل بروح شفافة ، وقلب لا يعرف الحقد والبغضاء إليه سبيلا ، فعاش محبوياً لعارفه قريباً لقلوب قارئيه ، مؤثراً فيهم ، معايشاً لشواطئهم ، معبراً عن أفراحهم وأحزانهم ، في فلسفة صادقة لا زباء فيها.

(١) صندوق الدنيا ص ٢٢١ .

المراة والمازنى

منذ أن ترقى والده لم يجد المازنى في معنى الحب والحنان إلا في أمه التي أحبته بأسمى وأكبر معانى الحب والمعاط، ولذا ارتبط بها وأحبها الحب كله الذي ملأ قلبه، وللاحظ أن سبب لامنه كان طريقاً لا يسمى معنى الحب وأقدسها إلى قلب المازنى، وأيضاً كان مغلاقاً لكل حب يطرق بابه أو يحاول الدخو منه، وبعد وفاة أمه أحس المازنى أن هذا النوع الصاف والمطهى الدافئ قد يغرسه إلى الأبد، فتراء مرأة يتبرم بالفساد، وأخرى يتعلق بالكثير منهن، ولكن هذه المشاعر في حقيقة الأمر ما هي إلا شعور بحب إثبات الذات في دنيا الإنسانية، ومحاولة للالتزام النفسي بأن يشعر في حياته بوجود رابط عاطفى بأى، ولكن الراحة والواحة التي كان ينشدتها في الأنى، غلت طيبة حياته بعيداً عن حياته العاطفية، وربما التيس أو توم الحب في العديد من بنات حواء ولكن لم يتمكنه أو يحوز قبوله، بل، ما هو إلا شعور نفسي بأنه ما زال يستطيع أن يكون عجا ومحبوباً.

ولعل أول أنى حادلت أن يطرق باب قلبه، وربما أحس بارتباط تجاهها هي ابنة عمده، فقد أعطته الشعور بالاهتمام وبوجوده، وربما عرضته بعض الشيء عن حرمانه وأحسسه بالضياع.

«صرت أستطيع أن أزور بيت صبي زيارة من لا يحتاج إليه ولا يطعم في شيء منه، وإن أرى ذكية، وأنتشي معها في حديقة البيت خلسة بالطبع وإن أبنتها جيء الذى لم يخدم وقدره الأيام»^(١).

وهو في تلك الفترة التي حاول الحب فيها أن يطرق باب قلبه، نجد له ذكر

(١) مختارات من أدب المازنى ص ٢٠٤

شفافية رائعة ، فاستطاع أن يكشف في دقيقة عن لحظات لقاء الأحباب ، مما يزيد الأمروضوحاً بأنه يريد أن يربط قلبه بأنى عليه يجد الراحة فيها .

«فما كنت أستطيع أن أعمل الشuron الذى يدفعنى إليها ، ولا جرى يالي أن أهلاه ولكنى بهذا التصرع وبالسكنى الذى تلاه شعرت أنى دنوت من الحقيقة المهمولة ، أو هكذا يخيل لي الآن ، وانعد لسانى فسكت وأعدتها سكت مثيل ، وأحسنا - كلانا فيها أظن - كان هناك شيئاً جديداً مختلفاً به الجو ، شيئاً لا يناله إدراك ولا يرقى إليه العقل ، غير أنه محظوظ كالطيب بحمله النسم »^(١) .

ويكشف أسلوبه على رغباته وملفته إلى الآني وشوقه إليها ، وذلك من خلال وصف فنها ووجهها والسممات الذى اراسمها على حياتها وشفتها .

«ويضطرم حياتها النضير الصبيح فهو بـ لها على ظهرها ويجلس ذقها بأطراف أصابعه ويرفع وجهها حتى تلتقي العيون مرة أخرى لتبتدم وتزارعه نفسه فى أمثال هذه اللحظات أن يلشم لها فريد نفسه بمحمد وبعضاً عنها »^(٢) .

ويظهر أن المازن فى شبابه كان ولما بلغ المرأة يجد فيها بعض الاستقرار الذى يمونه فقد حنان الأم ، ولكن أظهر ما يكون أن ليته المحافظة إلى حد التزمت جعلته حبيباً مشاعره ، فهو يذهب بعواطفه إلى ذها المرأة عليه يجد ما كان يلبينى أن يكون فى فقرة الشباب التى تمحوج بالحب والمعانى .

«نعم أحبك حباً لا هو عشق ولا هو صدقة ولا حنو أب أو أخ ،

(١) صندوق الدنيا ص ١٢٥ .

(٢) اختارات من أدب المازن ص ١٠٤ ، ٥٢ - ٦٤ .

لأهدي ماذا هو ولكنني أهدي أن أريح يدي على صدرك وأن
المس بأطراف أصابعى ثدييك . وان أطوفك بذراعى . وأشتهى ان
أضلك أيضاً إلى صدرك ، أضلك كما يضم الوكر الحامة ، وان المس شرك ،
وأن أغبى به ، وأدخل خصله المسمومة على خديك الأسيلين ، ^(١) .

والواضح فيما تقدم أن المازق ينظر للمرأة بأنها متعة فقط فهو يحدد
مشاعره تجاهها ، في جرأة و كان حرة الحياة لا تعرف لوجهه سبيلاً .

واوضح أن عاطفته نحو المرأة فلة مضطربة ، وقدر ما يكون متبايناً بها ،
بقدر ما نراه يفترون بتلاشى ذلك الشعور .

«إن الإنسان يحتاج أحياناً إلى وقدة الآتون ليصهر نفسه في النار فيصفو
معدنه من الاختلاط الذي تسكدس كالصداً على السلك فتقطع نيار الحياة ،
نيار الروحى الذى هو سر الحياة ... وهذا ما لا تستطيع زوجى الآن ...
ولا تستطيعه لها ... كلانا أصبح غير صالح لأن يثير في نفس صاحبه تلك
الزوابعة التي غمرك أهراق النفس وتطفو على السطح بعد ما رسّب فيها ومالله
أصلح من الطلاق الآن» ^(٢) ..

فهو دائم التغير والتحول تجاه المرأة ، ولم ينسكرا المازق تلك الحقيقة ،
بل قرأه يصرح بها ، ولقد صدق أخي العقاد حين قال إاصفي :

أنت في مصر دائم التقييد بين حب عنا ، وحب جديد
بين ماضى لم يذهل الحسن منه وطريف كالبانع الاملود
أنقربت من حبيبك أم ذا ك حبيب لا يطلى ^(٣) بالقصيد

(١) مقتارات من أدب المازق ص ١٠٤ ، ٤٤ ، ٥٢ .

(٢) يستهال .

أنت كالطير ربما شالت الطير عن الأيلك وهو جم الورود^(١)

وقد التزم كل من العقاد والمازني وأباً واحداً في المرأة ، فقال المازني : « إن المرأة يعجبها الإطراء وبروقها الشاه ، هذا صحيح ، ولكن أصبح منه أنها لا تعجب إلا بالقمر الذي يطلب الشيء كاً ينفي أن يطلب لا بالدمع والسرير ، أي بكل ماهر مظهراً للمجن والضعف ، وقد ترقى له وتدركها الرقة عليه من أجل أن يبكي عليها ويشتاق إليها ويمد يديه في سيلها ، وذلك كله تمليق لفروتها ، ولكنها لا تستطيع أن تخترمه في أحقن أحقان نفسها ، وأخرى بها أن تخلي عنها وتدعه حين تلقى » رجلاً ، يقول لها : « إن أريدك فعال ، ثم يمد إليها يده ويحملها وبعضاً منها ، إننا صرنا إلى زمن تطلب فيه النساء حقوقهن أ حقوقهن ؟؟ ومن ذا يمنعهن منها ؟ لماذا لا يمددن أيديهن إلى هذه الحقوق وينتالنها ؟ أم تراهن يرون أن يجلسن على الأراجوك في حفل من الوبنة وأن تقدمن نحن الرجال إليهن بمحاق من الذهب والفضة والماج فيها حقوقهن ؟؟ »^(٢) .

وقال العقاد في رأيه في المرأة : « ربما كان رأي في المرأة يناسب المتطرفين الذين يعجبون بالنهضة الدسوية الحاضرة ويشيدون بكلمة المرأة واستعدادها للقيام بأعمال الرجال والنبوغ فيها كاً ينبعج الرجل سواه بسواء ومقداره يدعون إلى درجة المرأة ومساواتها بالرجل مساواة مطلقة اعتقاداً على ظهور عدد من النساء في ميدان التفوق الدراسي في بعض الأحوال ، ولكنني أرى أن أعلى مثل المرأة الشرقية بل المرأة على الإطلاق أن تكون أماً صالحة تودي ما عليها من تدبير المنزل و التربية أبناء الشعب وإعدادهم للمستقبل إعداداً فاماً ، إنى من الذين يؤمنون بأن أعلى مثل المرأة هي تلك التي تكون قاهرة

(١) « بيان العقاد » ١ ص ١٠٢ .

(٢) « صندوق الدنيا » ص ٢٢٢ ، ٢٧٣ .

هل تكون عائلة صالحية ترقى بها الأمة ، واستطيع أن تزفر الماء
والحمد لله الذي أهداه لفجيل القادم باعتبارها المدرسة الأولى التي قدم اللشـنـ حـلـيـةـ نـافـعـةـ
وتفـرسـ فـنـوـرـسـهـمـ الـأـدـابـ الـدـيـنـيـةـ وـالـأـخـلـاقـ الـفـاضـلـةـ لـأـنـهـاـ رـاهـيـةـ لـأـطـافـالـهـاـ
وـمـسـتـوـلـةـ عـنـ تـرـيـةـ هـنـدـةـ ،ـ كـاـلـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ سـلـيـلـهـ :ـ الـمـرـأـةـ رـاهـيـةـ
فـيـ بـيـتـ زـوـجـهـ ،ـ وـكـلـ رـاعـيـهـ مـسـتـوـلـ عـنـ رـعيـتـهـ ،ـ ١١ـ .ـ

ويلتقي حافظ إبراهيم مع قول العقاد ، فقال حافظ إبراهيم :

أعددت شعباً طيب الأعراق
بالرى اورق إيماء ليراق
شغلت مالهم مدى الآفاق
بين الرجال يعلن في الأسواق
يحفزون رفته ولا من واق
عن راجلاته نواص الأحداق
كشتون رب السيف والزراق (٤)
أعدناه إذا أعددناها
الأم روض أن تمده الحياة
الأم أستاذ الأسنانة الأول
أنا لا أقول هم النساء سوافرا
بدرجن حيث أردن إلا من وازم
يفعلن أعمال الرجال لواهيا
فهون شؤونهن كثيرة

المارني مصررا:

بر المازن في رسم الصورة الأدبية برياقته الساحرية لشكل ما يقع عليه حسه، ويتناهى به وجوداته، والصور في أدب المازني كثيرة ولهم، على أن الملاحظ جميس بالصور التي التقطتها عدسته الفذة، سواء للأأشخاص أو المرئيات، جامت صورة للحياة المصرية بما فيها من قيم ومبادئ، متناثلة

(١) **كل شيء في العالم** - ٢٢٢٨٥٥ - سنة ١٩٣٠ ص ٦٠

(۲) دیوان حافظ ابراهیم چ ۱ ص ۲۸۴ ط ۷۰۸.

فيها البعض المصري الأصيل وبخاصة الأحياء الشعبية وساكنها ، فكانت مادة غزيرة يمداد لهازني بصور الأشخاص وسلوكياتهم . والعنق الفيافة التي لا ينضب معينها .

(١) صور الأشخاص :

وهي متعددة وكثيرة في متحفه الآهني ، ويعتمد في رسمها على التحليل النفسي ، فقد أكسيته كثرة الإقامة بالأحياء الشعبية ، الدراسة الكلمة الشخصية « ابن البلد »، فرسم لها أكثر من صورة .

« وترى ابن البلد هذا ، مستفيضا ، وتلقاه في حيثها تكون ولا تخطه عينك وهي تدور بالحظاها ، فهو رجل دنياه مصر أو تلك الأحياء القديمة منها ، لا يعرف غيرها ولا يكاد يدرى أن فوق ظهر الأرض سواها ، وله يدرى في أول ما يعبأ بذلك أو يعفه ، والزمن عنده اللحظة التي يكون فيها ، وهو ذكي إلا أنه جاهل ، وظريف سوى أنه مغدور ، وحى ولكنه لا يحيا إلا بحواسه ، ويقضى الحياة غير حابه بما كان أو مكرر لما يكون ، حمه أن يأكل وينام ويسر ويضحك ، فالضحك وما يعين عليه من الشراب و مجالس الإخزان ، والحياة آخر ما الموت ، أليس كل شيء إلى فناه ؟ فما أولاه باقتنام الساعة التي يكون فيها وما أسف من يعنون أنفسهم وبحرمونها لذاذات العيش ومنع الوجود »^(١) .

ومن دربياته المازني ، لترسم جانباً من سلوكيات ابن البلد .

« وهو يجود في غير كرم ، ويسرك في غير بخل ، ويتسلّم بغير علم ، وبضمتك بغیر جزل ، وبمحاثم في غير أدب وبسرير في الدنيا غير مختلف »^(٢) .

(١) مصدوق الدنيا من ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣٠٢

وتحضي عدسته الفنية في سيرها حتى تدخل بيت ابن البلد ، فتلتقط له صورة لحياته داخل منزله وبين أهلها ، تتناول عاداته وتقاليده ، وتعطي جانبها وصف دقيق لحياته الأسرية .

« يفتح عينه على الدنيا كل يوم قبيل الظهر ، وبعد أن يقضى ما يهام من الساعات التي لا تأبى إلا أن تذكر ، في النطري والتثاؤب وتناول الطعام والقهوة المرة مذابا فيها العنبر ، يقوم إلى ثيابه فيتقى منها جبة وقطانا منسجمين متباينين ثم يلف العمامه ، ولو فرما مممه شافة ، قد يستغرق بقية النهار إلى العصر ، ثم ينزل إلى المظارة ويتبول بها دينما يشرب القهوة ويشد أصحابه ثم يخرج إلى دكان بطال أو حلاق أو عطار »^(١) .

ونكشف الصورة التي ترسمها ربيحة المازفي النقاب عن شخصية ابن البلد العاطفية وعلاقتها بالآنس في دقة ووضوح .

« ولا يعرف ابن البلد الحب ولا يحسن أن يتحقق ، وال الحال عنده بوزنه أرطايا أو فناظهير ، والمرأة عخلوق يداعب ويفغازل وبمحض إلآخر ذلك ، وليس بياديك التعاطف ويعارنك في الحياة وبية أحلك متعمها ومتامها وبزودي مثلك وظيفته التي خاق لها ، وقد ترى ابن البلد عاشقا ولكنكه عاشق بمحواسه لا يعرف صبرة النفس وجنة القلب للقلب »^(٢) .

وإذا كان المازفي يعتمد على التحليل النفسي في رسم صور الأشخاص ، فهو أيضاً يتم بإظهار الملاع الشكلية وإبرازها وتجسيدها بوضوح ، كي تعكس الجوانب النفسية لصاحبها .

« وأظهر ما امتاز به سعد باشا حبوبه الدافعة التي لا ينضب معينا

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

ولا يجف يذبوعها ولا تثال منها شيئاً خوخة أو مرض ، وكتبت تراه مضمضع
الجسم ، ثم دود السكين مبهور الألفاس ، لا يكاد يقوى على الكلام ، ثم
ما هو إلا أن يقع الحادث أو تلد الأمالي شيئاً حتى لا ينتفعن الضعيف قوياً ،
والهدوء مستويًا ، ويعلو اللسان وتشرق ديجاجية البيان ، وترتفع النفس
إلى المستوى الذي يتطلبه الحادث ، فلم يكن أكذب من فتوره ولا أخدع من
كلامه وسيكونه ^(١) .

(ب) صور الطبيعة :

اجاد المازق في رسم صور الطبيعة ، وذلك من خلال الربط بين جزئياتها حتى جاءت في إطار منتظم ومصممون بنم على ذوق وبراعة في التحكم التصويري من إشاعة الأخبار والأصبابغ حول الصورة الطبيعية حتى تأق قريبة من الواقعية ، ونظير براعته في رسم صور الطبيعة من خلال الجمع بين الليل والنهار ، مما يرجى للقارئ ، بالألفة والانسجام في إطار الصورة ومحتوها.

^{٢١}) المراجع السابق ص ٣٠٩، ١٣٠، ٧٢، ٧٤، ٩٦.

وإن نسيم الصبح حين يهب بأصوات المصافير ، لذيد وإنه ليس
أطيب من ريا الأرض بعد أن يجودها من السماء ها ضب ، ولا أرق من
مقدم الليل علينا بنحوه الزهر وفقره السارى ،^(١)

ثم تتابع جزئيات الطبيعة كلها لتكون لوحة كلية لها إيمانات خاصة
مع نفسه ، فيخرجها في صورة مبهجة مشرقة تنبه على قدرة وبراعة في وسم
الأشياء التي تقع على حسه ومشاهده .

« في النوار الأصفر تحت أكاديم الخضر ، في سماء الزراب على الطريق
في الأغصان الصغيرة الخضراء النابتة على فروع الشجر ، في الأطيار تلقط
القش وخيوط الصوت التي ألقاها لها لتحملها بعناقيرها وترصنع منها أحشاشها
في ألوان الفجر على الأشجار والحقول الندية الملتجمة ، في الأمساء الصافية
الحالية بال مجرم المرتعشة ، في الغدران يترقرق فيها الماء »^(٢) .

والماذن صاحب مدرسة في رسم الصور ، لما يمتاز بأسلوبه التعبيري
الذى يدل على أصالة ، حيث تظهر روحه الشفافة ومشاعره الرقيقة منسكة
هادئة في الصورة ، تعطيها قيمة وتمد لها في الاستمرار ، وترسم في سهولة
أبعادها وأعماقها دون تعمد أو إسراف .

(١) المرجع السابق ص ٢٠٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢١ ، ٣٥ .

سمات الصورة عند المازني

١ - التحليل النفسي :

نرى أن المازني في رسمه لصور الأشخاص يعتمد على التحليل النفسي ، فهو من في أعماق الشخصية حتى يستوفى منها أحاطها ، ثم تأتي رؤاسته التعبيرية تحديد إطارها ومضمونها في جلاء ووضوح ، وقد استطاع المازني أن يرسم أكثر من صورة لابن البلد ، معتمدًا على التحليل النفسي ، فتراه يخرج صورة بمحاسنهم وما يدور فيها من عاداتهم وتقاليدهم تمسك نفسياتهم ورغباتهم وسلوكياتهم وميولها . « وحالات أبناء البلد نكانت خفنة وضحك مفرغ ، وأعذب ما يكون طعم الحياة في أقوالهم حين يركبون صاحبًا لهم بدعاية عملية ، أعرف واحداً من أظرف أبناء البلد وأكرمهم وأرقهم حاشية لا يرضي عن نفسه إلا إذا استطاع أن يوقع واحداً من يسمى المخاجن عليهم في مأذق أو يزج به في ورطة » .^(١)

٢ - براعة الخيال :

يمزج صوريه بشيء من الخيال الذي يضفي على الصورة بريقاً وجلاً ، فهو خيال يشري الصورة ولا يفسدتها ، فيأتي مقبولًا بل يزيدها وضوحاً وإشراقاً ، ويعطيها الحيوانة والتدفق دون ابتدا .

« وخرج الرجل من الحمام وربط الوسادة على جنبه وارتدى به ثيابه وهو مطمئن وخرج وجلس مع إخوانه في القهوة فأشعر شيئاً بقرصه فتصبر ، وألح عليه الفيل الخارج من جوف الوسادة بالقرص الآليم فصار يتحرك وبتعذر في جلسته وبلاشى ويده يده أحياناً إلى موضع الألم فيمنه الحياة أن

(١) المرجع السابق ص ١٢١ ، ٣٠٥ .

يحكى كابيتشتى ثم لم يعد يطيق فاتتفص قائماً وذهب يعود كالمحترن إلى البيت
ودخل غرفته كالفنيلة وراح يخلع ثوابه ويرميها في كل مكان حتى ارقد كا
ولدته أمه فإذا أفل بروح وبمحى على بدنـه^(١).

٣ - الجمـع بين المـيـنة والـحـركـة :

فهو يجسد الفـكرة ويجسمـها في صورة تـبـيـهـ عن المـيـنة ، مـعـبرـةـ بالـحـركـةـ
مـلـيـنةـ بـالـأـسـاسـيـسـ وـالـمـشـاعـرـ .ـ فـيـ إـسـاطـةـ ، وـفـيـ لـلـزـادـ وـالـتضـادـ ، الـذـيـ يـثـئـرـ
الـفـكـاهـةـ ، وـيـضـنـ عـلـيـ الصـورـةـ جـالـاـ وـعـذـوـيـةـ .ـ

ـ وـاقـتـرـبـ مـنـ ثـالـثـ وـأـهـوـىـ عـلـىـ جـوـادـيـ بـعـصـيـ مـعـهـ فـوـئـبـ الـجـوـادـ
وـرـاحـ يـسـاقـ الـرـيحـ -ـ اوـ هـكـذاـ خـيلـ إـلـىـ -ـ وـاـنـاـ أـعـلوـ وـأـهـبـطـ فـوـقـهـ حـتـىـ
أـحـسـيـتـ أـنـ أـمـعـاـقـ سـتـقـطـعـ ،ـ وـأـلـفـسـ بـيـدـ شـبـيـناـ أـمـسـكـ وـأـتـمـلـقـ بـهـ يـنـفـلـعـ
قـبـضـتـ كـلـ مـاـ تـصـلـ إـلـيـهـ ،ـ فـارـتـيـغـ عـلـىـ هـنـقـهـ وـمـاـ قـتـهـ وـجـعـلـتـ أـنـادـيـ مـنـ حـوـلـيـ
وـأـنـاشـدـمـ الذـمـةـ وـالـعـذـمـيـ وـالـمـرـوـةـ أـنـ يـوـقـفـواـ هـذـاـ الشـيـطـانـ ،ـ وـأـدـرـكـ أـحـدـ
إـخـوانـ الـعـطـفـ عـلـىـ اـصـاحـ دـ ،ـ وـلـكـنـ كـيـفـ نـفـفـهـ وـنـفـنـ رـاـكـبـونـ ؟ـ^(٢)ـ .ـ

٤ - الـحـوارـ الـفـكـاهـيـ :

يـخـرـجـ مـنـ خـلـالـ الـحـوارـ الـفـكـاهـيـ هـيـنـةـ مـكـتـمـلـةـ لـصـورـةـ فـكـاهـيـةـ مـنـ خـلـالـ
الـخـاـورـاتـ ،ـ وـأـنـ يـسـتـكـملـ فـيـ وـضـوـحـ الصـورـةـ الـتـيـ يـرـيدـ رـسـمـهاـ مـنـ خـلـالـ
ذـلـكـ الـحـوارـ .ـ

ـ قـلـتـ :ـ مـاـذـاـ ؟ـ أـتـرـيدـ أـنـ فـحـلـقـ لـيـ بـرـدـ ؟ـ وـمـنـ غـيـرـ صـابـونـ ؟ـ قـالـ :ـ مـاـذـاـ
يـخـيفـكـ ؟ـ قـلـتـ :ـ يـخـيفـنـيـ ؟ـ لـقـدـ دـعـونـكـ لـفـحـلـقـ لـهـ لـحـيـتـيـ لـاـ لـبـرـدـ لـيـ شـعـرـهـ .ـ

(١) مختارات من أدب المازني ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) انظر الساق ص ٨٩، ٩٠، ٧٣.

قال : يأهلي لا تخف . فم قرأ من الكتاب الكريم ، فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءه البشرى ، إلى آخر الآية الشريفة ، وأفظله أراد أن يرقيني بها فيما من حلقة لا تكون إلا برقة ،^(١)

المجازي ناقداً :

امتاز المجازي بالسخرية ، وهو نوع من النقد اللاذع المرير ، ولكن ليس معنى هذا أنه تحول إلى مصلح اجتماعي ، بل نرى أن نقده الاجتماعي يهدف إلى نقد السلوكيات والصفات الاجتماعية المنحرفة حتى يتطهّر المجتمع من تلك الآفات التي كانت شائعة في المجتمع المصري ، فهو نقد يرمي إلى إصلاح المعوج ، ونقوص الخطأ ، ومن أكثر الآفات التي كانت شائعة في المجتمع ، هو جعل الحرية بين الفتيات دون ضوابط ومرافقة لسلوكياتهن بما يؤهلي إلى فسادهن وخاصة في فترة المراهقة .

، كانت تلح على ناقد أن تدخن وتمرض عليها السجائر ، وكانت سعاد ربها جمع بها حبها لتأهد فتطوّقها بذراعيها وتضمها وتقبلها وتدعوها أن تفعل مثل ذلك فيضيق صدر ناقد بهذا الحب وتنفلت من عناقه متأذقة متبرمة ،^(٢) .

وزراء ينتقد في قلب ساخر هذا السلوك السيء الشائع بين النساء ، من ترکهن أعمال المنزل وخوضهن بالحديث والثرثرة فيما لا يهم .

، ليس من الميسور أن يقوله الرجل منا لامه ، أو زوجته ، أو أخته ، أو لالية سيدة محترمة ، إن هذه صنف أنها هي لا تكف عن التبرّقة ، إنني أشك في أن آدم هو الذي سمي الأشياء ، وما أظن إلا أن حواء هي التي يرجع

(١) المرجع السابق .

(٢) مئارات من أدب المجازي ص ١٠٣ .

إليها الفضل في ذلك ، فما أحببها تركت له فرصة يفتح فيها فه ولا سيما إذا ذكرنا أن آدم كان الإنسان الوحيد الذي كانت تستطيع أن تكلمه في الجنة وهكذا . . تنتقل من موضوع إلى موضوع ، بلا فائدة حتى يصبح صونك ، والنساء شر لابد منه ، وكثيراً ما تنسيك حلاوة مرارته ، ولكن المرأة الصالحة ... ؟ هنا يحسن السكوت ،^(١)

والمازنى من المتهمن بأخلاقيات الأفراد وسلوكياتهم ، ولذا حاول جاهداً من خلال نقده الاجتماعي المزير أن يضع الناحية الأخلاقية من المجتمع في موضعها الطبيعي .

الماذن فيلسوفاً :

من الملاحظ أن الماذن كان في آخر يارات حياته كارهاً متعمراً من الفلسفة ودراساتها وكتبها ، فانصرف عنها غير نادم لتركها ، إلا أنها نجده في مقابل عمره كان مغرياً بها مفتوناً بالنظريات المقلية ، وقد ساعده على ذلك معرفته باللغة الأجنبية ، مما ساعده على الاطلاع للfilosophy الأجنبية .

فترة يتحدث عن إمكانيات العقل موظحاً قدراته وأوجه عجزه ،

ويعيش العقل في الماضي لأنه يعجز عن إدراك الحاضر ولا يستطيع أن يدرس إلا ما وقع أو ما تم أو بعبارة أفق لا يدرك إلا صورة يسترجع إلى التسليم بأنها مطابقة للحقيقة ، ومعنى ذلك أننا نعيش ونحي بين الصور التي نرسمها لنفس الحياة ، وليس صورة المستقبل في أذهاننا إلى مرحلة من صور الماضي ،^(٢) .

(١) صندوق الدنيا ص ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ١١٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

فهو أسلوب فلسفى منطقى يوج ب بين الفلسفات الفسكونية والتحليلات المقلية المنطقية التي شاعت وانتشرت في عصر النهضة الأوربية ، وعندما كثر الجدل حول قضية الخير والشر ، نجد أن المازن عبر عنها في قوله :

« وماذا تكون الفضائل إذا خلت الحياة من روح الشر واستل منها هذا الفنصر الذى يحفز الناس إلى العمل والتفكير »^(١) .

ويحيى حديثه في قالب فلسفى عن معنى الآية ، والأية ماذا هي ؟ أليست مظهاً من مظاهر حب الذات والرغبة في تخليلها بشكيرها وإعادتها في شخص آخر هو بعضها ؟^(٢) .

فهي برى أن عاطفة الآية ما هي إلا أحد الفرائض ، وهي غريبة حفظ الذات ، وهو بذلك ينصل لصوت العقل ، وبفضل عن جميع النواحي الإنسانية الوجدانية في الإنسان .

خصائص أسلوب المازن :

١ - الواقعية ، فهو يعبر عن كل ما يحس به من خلال ارتباط شعوره بالواقع الخارجى .

٢ - الاستطراد ، وقد يلجأ إليه أحياناً من أجل توضيح وتمهيد الفكرة التي يتحدث عنها .

٣ - الاعتماد على التحليل النفسي ، وذلك بالغوص في أغوار النفس الإنسانية حتى يستطيع أن يعبر عنها في صدق .

٤ - براعة الموارد ، فتراه تارة يزوجه بروح الفكاهة ، وتارة بالسخرية

(١) المرجع السابق

اللاذعة ، وأغترى بالفنانات الباعثة على الضحك ، وفراء يميل إلى الحكمة
والأسطورة ، من خلال حوار شيق يجذب إليه السائع أو القارئ ..

٥ - قد يلجأ إلى المبالغة ، وذلك من أجل إظهار الفكرة ، وبيان قدرته
على استعمال اللغة ..

٦ - الميل إلى أسلوب الحياة اليومية في سهولة وطلافة في التعبير ..

٧ - الميل لاستعمال ضمهر المتكلم المفرد ، بتخلله العديد من الجمل
الاعتراضية ..

٨ - مزج الأسلوب بالخيال ، من أجل توحيد الفكرة وإخراجها أكثر
وضوحاً للقارئ ..

أثر المازني في المكتبة الأدبية

لقد أثرى قلم المازني المكتبة الأدبية بالعديد من مؤلفاته ، فأضلا عن
مقالاته التي كتبها لل مجلات والصحف اليومية ، ونشير هنا إلى أشهر مؤلفاته
التي تضمها المكتبة الأدبية .

- ١ - إبراهيم الثاني .
- ٢ - حصاد العشرين .
- ٣ - قبس الربيع .
- ٤ - ثلاثة رجال وامرأة .
- ٥ - ع المائة .
- ٦ - عود على بدءه .
- ٧ - حكم الطاعة .
- ٨ - إبراهيم السكائب .
- ٩ - قصة حبها .
- ١٠ - سبيل حياة .
- ١١ - ف الطريق .
- ١٢ - صندوق الدنيا .
- ١٣ - مختارات من أدب المازني .
- ١٤ - ابن الطبيعة .
- ١٥ - مختارات من القصص الإنجليزى .
- ١٦ - خيوط الفنكبوت .
- ١٧ - الشاردة .

١٨ - ميدو وشركاه .

١٩ - ديوان المازني (٣ أجزاء) .

٢٠ - من الشافعية .

٢١ - بشادر بن برد .

سئل المازني يوما ، ما هو أحب كتاب إلى نفسك من هذه الكتب ؟
فأجاب على الفور : كلها عندي سواء ، ولم يفتح السائل بهذا الجواب
المرجو ، فقال له : لكن هذه الكتب وإن كانت جميعها تناج حفلك أليس
فيها الحبيب إلى نفسك والبغض ؟ أكل أولادك عندك سواء ؟
فقال : لا أحبك قادرًا على أن تحوّلني عن رأيي ، فشكل أولادي
لهى سواء ولو كان أحدهم خاتما ، ما قلل من حبي له .^(١)

(١) كل شيء والعالم - عدد ٢٤١ سنة ١٩٣٠ م ص ٣١٠ .

المراجع

- ١ - خيوط المركبتوت : إبراهيم عبد القادر المازني ، مطبعة دار الشروق بمصر .
- ٢ - ديوان حافظ إبراهيم : محمد حافظ إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ م .
- ٣ - ديوان العقاد : عباس محمود العقاد ، مطبعة المقطف والمقطم بمصر .
الطبعة الأولى ١٣٤٦ - ١٩٢٨ م .
- ٤ - سبيل الحياة : إبراهيم عبد القادر المازني ، مقدمة بقلم عباس محمود العقاد . دار الشروق .
- ٥ - الشوقيات : أحمد شوقي ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية -
سنة ١٩٧٠ م .
- ٦ - صندوق الدنيا : محمود العقاد ، مطبعة الترفي بشارع الساحة بمصر -
الطبعة الأولى ١٣٤٨ - ١٩٢٩ م .
- ٧ - العمدة : ابن رشيق القير沃اني : مطبعة دار الحبيب بيروت - الطبعة
الرابعة - سنة ١٩٧٢ م .
- ٨ - في الطريق : إبراهيم عبد القادر المازني - مطبعة دار الشروق - طبعة
ثالثة سنة ١٩٧٤ م .
- ٩ - مختارات من أدب المازني : إبراهيم عبد القادر المازني - الدار
القومية للطباعة والنشر - سنة ١٩٦١ م .
- ١٠ - معجم المطبوعات العربية والمصرية: يوسف اليان سركيس - دار بيروت .
- ١١ - معجم المؤلفين : محمد رضا كحالة - مطبعة وكتبة المنى بيروت .

دوريات

- ١ - مجلة كل شيء والعالم - دار الملال عدد ٢٤١، ٢٤٤، ٢٢٤ سنة ١٩٣٠ م .
- ٢ - مجلة الملال : عدد مارس سنة ١٩٥٣ م .

